النص التفاعلي الرقمي وحوارية النظم الإلكتروني

أ/أحلام شمري –جامعة الأمير عبد القادر

مقدمة:

لقد عرف النص الأدبي في العصر الراهن حركة انتقالية نوعية غيرت المألوف، وصنعت الجديد، وذلك عندما استفاد الأدب من التطور التكنولوجي، ومن الثورة التقنية الكبيرة التي شهدها هذا العالم، مع ظهور شبكة الانترنت وما أحدثته في عالم الاتصال، وكلمات تطور الفكر البشري وتطورت آليات تفكيره، تغيرت أشكال تعبيره، ومن ثم إدراكاته للأشياء والحياة والعالم، ويعتبر كل انتقال حضاري بمثابة انتقال في أسئلة الواقع.

وبهذا انتقل النص الأدبي من مرحلة الورقية والكتابة إلى المرحلة الالكترونية.وأصبح الحاسوب وسيطا جديدا للإبداع بين المبدع والمتلقي.

يمثل النص الرقمي نتاجا طبيعيا للعلاقة التفاعلية التي نشأت بين الإنسان، والعوالم الافتراضية التي أتاحتها التكنولوجيا الرقمية، وكان طبيعيا أن يواجه بمعارضة من قبل كثرين في ثقافتنا العربية، وهذا لأسباب جمة نلخصها في عدة نقاط:

- أنه نص هجين جاف لا يعبر عن تجارب فعلية ذات خبرات نفسية وتصويرية، ويلجأ في كثير من جوانبه إلى توظيف تقنيات رقمية لا روح فيها.
- لم يتح العالم الافتراضي ضوابط للنص الجيد، وهذا ما يدل من وجهة نظرهم ضياع جمالية النص.
- غياب وحدة الرؤية التأليفية، وأن النص يدور في متاهات متشبعة من شأنها العمل على تشتيت القارئ الذي قد يصاب بالملل، مما يعني مغادرة النص، وعدم الإقبال عليه مرة أخرى.

من هنا جاءت هذه الدراسة لتحاور النص الرقمي مستقرئا جماليته الفنية على مستوى البنية الداخلية، ومؤكدة في الوقت نفسه، أنه ليس كل ما يكتب وينشر في العالم الافتراضي يمكن عده نصا رقميا تحمله الكلمة من دلالات، وأنه يحتوي على جماليات فنية لا يمكن للنص الورقي أن يستوعبها، وأن توظيف التقنيات الافتراضية لم يكن من باب التجريب المصطنع كما يزعم البعض.

إنما له دلالة موضوعية وفنية تختلف من نص لأخر.

وبناءا على هذا تتبلور إشكالية الدراسة من خلال التساؤل التالي:إلى أي مدى يمكن أن تساهم تقنيات العصر التكنولوجي في تحسين تطوير وتفعيل الأدب العربي؟ وما هو دور التقنية الآلة بروز الواجد الجديد على الساحة الأدبية العربية؛الأدب الرقمي؟ وما هو مفهوم الأدب الرقمي؟.

ولما كانت خصوصية هذا الوليد الجديد تكمن بصورة أساسية فيما يفرضه من توظيف الوسائط أو التقنيات الالكترونية التي يتيحها الحاسوب والانترنت في بنيته الداخلية، فإن اهتمام هذه الدراسة منصب على رصد ملامح توظيف هذه التقنيات.ولذلك تشير الدراسة إلى جانبين مهمين هما:

الأول: يتعلق بالمبدع فإضافة إلى وعيه الحداثي بمعطيات التكنولوجيا وتداعياتها، يجب عليه ألا يغفل الثوابت النقدية لثقافته العربية التي عانت ردحا من الزمن من أجل تأسيس عناصر العملية الإبداعية تأسيسا جماليا يرتبط بالإنسان وتحولاته، وهذا ما سوف يحقق له خصوصية وتفردا فنيا.

الأخر: يتعلق بالناقد، هناك كتابات نقدية رقمية تؤكد على ضرورية إلمام الناقد بثقافة التكنولوجيا الرقمية، إن أراد قراءة النص الحداثي قراءة واعية، و هذا آمر ضروري، فإننا نؤكد على أن ظهور النص الرقمي لا يعني اختفاء النص الورقي، القادر هو الأخر على التعبير والمحاكاة وفقا لإمكاناته الخاصة.فالأمر نفسه بالنسبة للنقد الرقمي، فظهوره

ببلاغته الرقمية الجديدة التي تتمثل في جماليات الرابط الإلكتروني وهذا ما سنحاول الكشف عنه في هذه الورقة البحثية من خلال مقاربة النص السردي الذي تم إنتاجه بواسطة الحاسوب والانترنت، والذي حاول الإفادة من الفنون السمعية والبصرية الأخرى في محاولة تشكيل نص فني له خصوصيته على مستوى الإنتاج والتلقي.

أما محاور الدراسة تتمثل في:

تمهيد: النص الأدبي من الورقية إلى الرقمية

المحور الأول: النص الرقمي بين الإنتاج والتلقي.

المحور الثاني: النظم الالكتروني: الماهية والممارسة التطبيقية في قصةّ "صقيع" لمحمد سناجله .

تمهيد: النص الأدبي من الورقية إلى الرقمية:

إن الثورة الرقمية فتحت آفاقا جديدة ومتنوعة أمام الكتابة، فقد أعادت الاعتبار للكلمة وتجلى هذا من خلال الشبكات التي تشكل فسحة جديدة للنص المقروء؛ حيث لا شيء يلغى سواه في هذا الصدد، غير أنه يعاد استخدامه وتشغيله بطريقة مختلفة وفي مجال آخر جديد، وهذا ما نلمحه اليوم في النص الرقمي الذي نحسب أن اختلافا واضحا بينه وبين الورقي فما هي أهم المعالم التي تميزه عن الورقي يا ترى؟.

منذ حوالي عشرين عام ظهر في الساحة الأدبية إنتاج أدبي يقرأ على شاشة الكمبيوتر، ومن خصائصه أنه يقوم بدمج الوسائط الإلكترونية المتعددة. نصية وصوتية وصورية وحركية في الكتابة في فضاء يسمح للقارئ بالتحكم فيه.وقد سمي هذا الإنتاج بالأدب الرقمي؛حيث شهدت الساحة الأدبية حراكا نوعيا، يتخذ وجهة جديدة من خلال محاكاة تجارب جديدة في الكتابة الحديثة تسمى بالكتابة الرقمية، فظهور الوسائط والأدوات الجديدة اتصاليا ومعرفيا طرحت نفسها بقوة لقيادة موجة ما زالت في إطار التنظير، حتى أنه لا يوجد إلا تجارب نقدية محدودة تناولت الظاهرة بالدراسة والنقد.

حملت الثورة المعلوماتية بين طياتها "تأثيرات حاسمة على شكل الكتابة،ومن ثم على جوهر الكتاب ليس من جانب الشكل فقط، وإنما من جانب المضمون أيضا، فطرأت بعض التغيرات على طبيعة العملية الإبداعية وعلى عناصرها، فكان لتأثير هذه الثورة صدى من تأثير آلة الطباعة التي اعتبرت ثورة ثقافية شملت الكون بأسره"[1].

دخل النص الأدبي عالما جديدا ووسيطا مغاير للورق، فتشكل نص أدبي إلكتروني أو رقمي؛ "فالنص الأدبي الأول يمكن أن يكون نصا عاديا كما هو حال النصوص التي نعرفها في الكتب الورقية، إلا أنه لا يكتب اليوم على الورق، بل أدب إلكتروني وقد ازداد استخدامه بمرور الزمن، يمكن الوصول إليه من كل حاسوب متصل بشبكات الاتصال العالمية.كما أن الوصول إلى هذا النص عبر هذا الوسيط أسير من الوصول إليه في الكتب"[2].

أما الشكل الثاني للنص الأدبي فهو نص بملامح جديدة ولد من رحم التكنولوجيا، فأصبغت عليه هذه الأخيرة طابعها كما أنه بالمقابل جاء معبرا عن عوالمها، لذلك فهو ليس نصا ورقيا دخل مجال التكنولوجيا بل هو نص مختلف نما وتشكل في بيئة غير ورقية.إذا خرج منها ضاعت خصوصيته ولم يعد له من التأثير ما كان يحمله في بيئته الأصلية.

لذلك يرى سعيد يقطين"أن هذا الأدب الرقمي هو من جهة سليل الممارسة الإنسانية.ومن جهة ثانية بداية لممارسة أدبية جديدة، ليس فقط لأنه يوظف وسائط جديدة ومغايرة لما كان سائدا، ولكن لأنه ينفتح في إنتاجه وتلقيه على علامات غير لفظية، يجعله إياها قابلة لأنه تندرج في بنيته التنظيمية الكبرى، وتصبح بذلك نصا متعدد العلامات".[3]

إن النص الرقمي متحرر من سلطة السطر أصلا، ومستفيد من دينامية التكنولوجيا حيث"تبرز خاصية المورد الرقمي في طبيعة تقديمه للمعرفة حيث يختلف عن الكتاب من حيث التركيبة فإذا كان تصميم الكتاب يعتمد على الغلاف

[1]- زهور كرام، الأدب الرقمي –أسئلة ثقافية وتأملات مفاهمية، دار رؤية، ط1، 2009، ص 22.

[2]- كلثوم زينة، النص الأدبي من الشفهية إلى الرقمية، رسالة مقدمة لنيل الماجستير، ط2009، ص29.

[3]- سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، المركز الثقافي العربي- الدار بيضاء، ط1، 2008، 192.

والصفحات الأولى للأجزاء، فإن تصميم المورد الرقمي يهتم بتصميم الوجهات والعناصر المكونة لها، وإذا كانت بنية الكتاب تتألف من مجموعة من أجزاء فإن بنية المورد الرقمي تتألف من مجموعة أجزاء افتراضية"[4].

لعل أول المتغيرات التي تصادفنا في الأدب الرقمي هي الدعامة الرقمية، التي تعتمد الشاشة والفضاء السيبرنطيقي مجالا لتمظهرها.

المحورالأول: النص الرقمي بين الإنتاج والتلقي:

إن الثورة التكنولوجية التي شهدها العالم في العصر الحالي، والتي شملت كل نواحي الحياة، وما صاحبها من تطور هائل وسريع في وسائلها التي أصبحت تشكل عصب الحياة، قد ساهمت في بروز آليات ووسائل لم يكن يتصورها الإنسان في السابق.

لم يأتِ النص الرقميّ من فراغ، إنما كان استجابةً لتطور وعينا المعرفي في بُعْديه الإبداعي والنقدي، وهو تطوّر فرضتْهُ التكنولوجيا الرقمية ومتغيرات العصر، يعبر الأدب التفاعلي كجنس أدبي جديد عن آلام الإنسان السيبورج (الإنسان المهجن بالآلة) ويجسد ما يقيمه هذا الكائن الجديد من علاقات أثيرية مع أفراد مجتمعه، فالنسق الشبكي الرابط بين الأفراد والمجتمعات في الفضاء الافتراضي يمثل مَعْلمًا لفهم النظام المعرفي الثاوي خلف مصطلح النص المترابط..."[5].

هذا يعني أنّ أي نصٍّ لم يكن نبتًا شيطانيًا، إنما كان مجردة فكرة تخيليّة وانفعالات داخليّة، سرعان ما تمّتْ ترجمتُها في صورة ألفاظ، نُسِجَتْ في خيط دلالي يتناسبُ مع هذه الانفعالات، التي سرعان ما تحولتْ إلى نصٍّ موجّه إلى آخر بهدف التواصل المعرفي، ولذلك كان من الضروري أن ينفعل المبدع ويفكّر طويلًا في ماهية نصِّهِ قبل وضعه في صورة كتابية رقمية، كأن يتساءل: ماذا سأقدم؟ ما الأدوات البنائية التي أعتمد عليها؟ هل هناك عوامل مساعدة سواء تأليفية أو إخراجيّة يمكن الاستناد إليها في تدعيم الدلالة النصيّة؟ كيف يمكن جذب المتلقي وإثارته تجاه النص؟...الخ.

مثل هذه الأسئلة قد تكون ركيزةً أساسيةً في تشكيل النص الرقمي، الذي عرّفته " فاطمة البريكي" في صورته الأدبيّة بأنه:" الأدب الذي يوظِّف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد يجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني، أي من خلال الشاشة الزرقاء، ولا يكون هذا الأدب تفاعليّا إلا إذا أعطى المتلقي مساحة تعدل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص"[6].

وإن كنّا ننظر إلى أن الأوْلى هو القول بمصطلح الأدب الرقمي التفاعلي، أي بإضافة لفظة الرقمي في إشارة إلى الحاسوب (الوسيط الناقل)، حتى لا يتداخل معناه مع معنى الأدب التفاعلي بصفة عامة، بما فيه الورقي، وهذا يعني أنَّ المتلقي سيدرك تمامًا أنَّه سيتعامل مع أدب له نوع خاص، أدب له خصوصية فنية لم يعاهدها من قبل، وأنَّ هذا الأدب مقدّم عبر الوسيط الذي تُشكِّله التكنولوجيا الرقمية المتمثلة في الحاسوب المتصل بفضاء الإنترنت

ثم تأتي مرحلة الإنتاج النصي، وفيها يتم تحويل الفكرة الذهنيّة إلى كُتل نصيّة مفعمة بدلالات تصوريّة، ثم تكون المؤثرات الجديدة التي تُستقى من رحم التكنولوجيا الرقمية، مثل: المؤثرات الحركيّة والبصريّة، وفن الغرافيك، وتقنية الهيبرلينك، وقد يستعين المؤلف بعنصر خارجي مخرج أو منتج في ترتيب الأجزاء الرقمية وتوزيعها دلاليًّا في النص، " فاستعمال الوسيط الجديد يجعلنا نُدخل طرفًا آخر غير المؤلف في عملية الإنتاج ، وهو المبرمج أو الخبير في المعلوميات؛ لأنه ليست لكل المبدعين الخبرة نفسها في هذا المجال. لذلك جرت العادة أن يُقدِّم المؤلف نصَّهُ للمبرمج ليجعله قابلًا للتلقي الرقمي"[7].

---

[4]- سومية معمري، الأدب الرقمي بين المفهوم والتأسيس مقاربة في تقنيات السرد الرقمي، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه، ط2016، ص77.

[5]- عمر الزرفاوي، الكتابة الزرقاء(مدخل إلى الأدب التفاعلي، كتاب الرافد، الشارقة، العدد56، أكتوبر 2013، ص64.

[6]-فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي ، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006، ص49.

[7]- سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء بيروت،ط2008،1،ص198.

ثم بعد اكتمال الفكرة يتم النشر الرقمي من خلال برنامج معين ليكون قابلًا للرؤية والقراءة على الشاشة.

في الأخير يأتي دور المتلقي التفاعلي (الإيجابي) الذي يقوم بتفكيك الجزئيات النصيّة والتقنية على حدٍّ سواء، ثم إعادة تركيبها من خلال رؤية جديدة تتناسب مع طبيعته العقليّة والثقافيّة في تلقيه للنصوص. وكي يكون المتلقي أو الناقد على دراية بجماليات النص الرقمي يجب أن يكون هو الآخر على دراية بأساسيات التكنولوجيا الرقمية.

تؤكد المراحل الإنتاجية السابقة أنّ النص الرقمي يكتسب شرعيتَهُ الوجوديّة من التعالق الداخلي (النظم الداخلي) للبُنى النصية في ماهيتها المختلفة، وهنا يكون دور المتلقي الذي يبحث دائمًا عن الأنساق المضمرة التي يحاول استنطاقها جاهدًا مما يُسهم في فَتْح نوافذ جديدة تجعل من يقف عندها يدرك جيدًا أنه أمام رؤى منطقية مقنعة ذات أبعاد جمالية.

تأسيسًا على ذلك نقول: إن تركيب النص الرقمي ببنيته الترابطية هو جوهر ما نادى به " عبد القاهر الجرجاني" في نظرية النظم، والشيء المهم هو أن يكون هناك تلاؤمٌ وانسجامٌ بين الكلمة التي هي أساس النصّ الرقمي، والتي تجعله أكثر أدبية، وبين المؤثر التقني المُسْتَدعى.

إضافة إلى أنّ هذه الخاصية تترك فرصة للمتلقي كي يكون أكثر إيجابية عن طريق سدّ الفجوات النصية واستنطاق المسكوت عنه في النص، وقد يكون هذا المسكوت غير مقصود من قِبل المبدع، ولم يُعره أيّ اهتمام، إنما تفاعلية المتلقي مع ما يقرأ هي التي ولّدت له فرصة استكمال النص بروافد جديدة بحيث تجعله أكثر جماليّة، وبهذا تتحقق جمالية التأليف النصي، تلك الجمالية (تفاعل المتلقي المباشر) التي كانت غائبة في النصوص الورقية، لكنها مع النص الرقمي أصبحت موجودة بالفعل نتيجة الحوار المباشر الذي يجمع المتلقي بالمبدع في فضاء افتراضيّ واحد.

ولتحقيق فكرة النظم في النص الرقمي نقول: إن مراحل إنتاج النص الرقمي تتلخص في التفكير، ثم الاختيار، ثم توزيع الكلمات والتقنيات وتنسيقها وربطها في سياق واحد، وهذا يعني أن المبدع الرقمي عندما يفكر في إنتاج نص رقمي؛ لا يمسك مباشرة بالقلم ليخط ما يُفكر فيه كما هو الحال في بعض النصوص الورقية القصصية والشعرية التي غالبا ما نسمع مبدعها متحدثًا عن كيفية تشكيلها قائلًا: إن هذه القصة أو القصيدة تم إبداعها في لحظة تخيل تأملي لحظي، ثم سرعان ما أمسكتُ بالقلم الذي راح يسكب مداه حتى فرغ من كتابتها. الظاهر مع النص الرقمي الجيد على خِلاف ذلك، حيث يفترض هذا النص معاناة كبيرة من قِبل مبدعه، وهذا ربما يفسر ندرة النصوص الرقمية في بيئتنا العربية، قياسًا بالنصوص الورقية يكون هناك صعوبة في التواصل أو التعامل مع هذا المبرمج".

المحور الثاني: النظم الإلكتروني: الماهية والممارسات التطبيقية، وفيه:

أ - مفهوم النظم الإلكتروني،والفاعلية النصية والتقنية:

يكتسبُ النص الرقمي صفةَ الأدبيّةَ من اعتماده أساسًا على الكلمة التي تحتوي على طاقات تخيليّة تختلف باختلاف المبدعين وتصوراتهم، يقول " إبراهيم ملحم": " فليس كل عمل تفاعلي ينتمي للأدب، وما يفرض الأدبية هو البناء بالكلمة عالمًا من الشعر أو النثر، ولا قيمة هنا للتقنية التي يتضمنها العمل إن لم يكن مبنيًّا على الكلمة"[8].

وأنّ هذه الكلمة لا تقف عند صورة واحدة، بل إنها تتطوّر بتطوّر العصور، ويبقى دورُها واضحًا في أنها تتكفّل برسم صورة تعبيرية عن المجتمعات التي عاصرتها. وهذا يعني أنّ آلية التفاعل (الداخلي والخارجي) الذي يُبنى من خلال هذه الكلمة تختلف باختلاف المؤثرات التي تحيط بالنص، تلك التي كانت سببًا في إنتاجه.

من هنا وبناءً على ما طُرح آنفًا يمكن النظر إلى مصطلح **النظم الإلكتروني** مفهوما- إن جاز القياس على مصطلح عبد القاهر الجرجاني- بأنه: " تعلّقِ الكلمات ببعضها من ناحية،_وبالتقنيات التي يتيحها الوسيط الرقمي من ناحية أخرى؛ وفق سياق نصيّ يُحيل إلى تفاعل الأنا الإبداعيّة مع الآخر المتعدد؛ الذاتي، والجمعي (الوسيط والمتلقي).

[8]- إبراهيم ملحم، الأدب والتقنية- مدخل إلى الأدب التفاعلي، عام الكتب الحديث- عمان، ط1، 2014، ص26.

وبهذا تكون التفاعلية Interactive التي ذهب النقادُ في تفسيرها مذاهبَ شتى؛ نتيجة فعلية لا تتحققُ إلا بتحققِ النّظمِ الإلكتروني على مستوى الكلمة والتقنياتِ الرقمية، من هنا فإن النَّظمِ الإلكتروني يفترضُ الآتي:

أولًا: تعلّق الكلمة بالمؤلف/ الفكرة الذهنية/ التجربة.

ثانيًا: تعلّق الكلمة بالوسيط/ المؤثرات التقنية والفنون البصرية الأخرى.

ثالثًا: ارتباط المؤثرات ببعضها لتكوين جوٍ رقمي عام يتناسبُ مع الجو الذي ترسمُه الكلمة.

رابعًا: تعلّق القارئ بالكلمة السردية، ومن ثَمّ فهم الصورة التخيّليّة للنصِ.

خامسًا: تعلّق القارئ بالمؤثرات التقنية، ومحاولة الربطِ بين هذه الجزئياتِ مجتمعةً (النصّية والرقمية).

وبذلك يُسهم مصطلح النظم الإلكتروني في إزالةِ اللبسِ الذي يتولدُ مع القول بالتفاعلية، التي تُحِيل إلى التفاعليةِ النَّصّية بصفة عامة، مما دفع كثيرين ممن يشتغلون بالنقد الرقمي إلى الانشغال يتبين الفرق بين التفاعلية الورقية والتفاعلية الرقمية، ونتيجة لذلك تصبح التفاعلية فقط إجراء يشير إلى تفاعلية المتلقي مع النص الرقمي بعد إنتاجه، في حين أن النظم الإلكتروني يمكن عدّه إجراءً داخليًّا خاصا بالنص الرقمي تمييزًا لفاعليته النصية الداخلية عن تفاعلية بقية الوسائط الأخرى وعلى رأسها الورقي، من ثَمّ يُصبح النَّظم الإلكتروني في هذه الحالة أكثر خصوصيةً وإحالةً إلى النص الرقمي، بالإضافة إلى أنه يسهم في الكشف عن الجوانب البلاغية الرقمية المضمرة في النص الجديد.

وأنّ الذي يجب وضعه في عين الاعتبار عند التعامل مع النص الرقمي؛ هو ضرورة الانسجام بين الكلمات والمؤثرات، فالمعنى الذي نريد توصيله للقارئ - كما يرى " إبراهيم ملحم"- ليس مقتصرًا على الكلمة وحدها، ولا على الخلفيات وحدها، إنّ كلّ عنصر من العناصر يريد أن يقول شيئًا، ومهمة- الناقد- أن يكتشف ماذا تريد هذه العناصر جميعها أن تقول بحيث لا يشعر القارئ أنها غريبة عنه أو انه غريب عنها"[9].

وقولنا بأن المؤثرات التقنية لا تحمل دلالة في حد ذاتها، تتّفق مع رؤية " عبد القاهر الجرجاني" من حيث إنّ الكلمة أو اللفظة لا تحمل فصاحة أو جمالًا في إفرادها، إنما جماليتها الأساسية تكون في نظمها أو تعلقها بأختها في الجملة أو الفقرة.

وبهذا يؤكد النظم الإلكتروني على ضرورة الربط بين اللفظ والمعنى، تلك الفكرة التي شغلت " عبد القاهر الجرجاني"، غير أن ماهية اللفظ في النص الرقمي قد تغيّرت حيث أصبح لها صورتان، هما:

الأولى : الحرف والكلمة(اللفظ اللساني).

الأخرى: التقنية (المؤثرات الافتراضية).

ومن خلال هاتين الصورتين ينُتج المعنى.

بل إن الكلمة النصيّة التي عشنا معها كثيرًا في النص الورقي، قد طرأ عليها مجموعة من المتغيرات، وتحولت من ماهيتها الواقعية الثابتة، وأصبحت أيقونة حركية وبصرية، عن طريق تحميلها وجعها رابطًا إلكترونيًا بالنقر عليه تنفتح نصوص أخرى.

ب- تجليات النظم الإلكتروني في قصة "صقيع" لمحمد سناجله:

في هذا المحور من الدراسة سنحاول مقاربة نص " صقيع" 2006م، للروائي الأردني " محمد سناجله"، وقد نُشِر في موقع اتحاد كُتّاب الإنترنت العرب: (www.arab- ewriters.com)، وذلك لتأكيد ما ذهبنا إليه في هذه المقاربة، من أن جمالية النص الرقمي الجديد تكمن في نَظْمه الإلكتروني، الذي يحمل طاقات تخيلية وجمالية تتسع باتساع رؤى المبدعين الذهنية والفنية.

[9]- المرجع السابق، ص40-41.

يُعَدّ نص "صقيع" أحد النصوص الرقمية القصيرة التي تحققّت فيها بفاعلية فكرة النَّظم الإلكتروني، حيث الانسجام الواضح بين الكلمة السردية ببُعدها السردي الإخباري، والمؤثرات السمعية والبصرية التي تضمنتها الروابط الإلكترونية التي تنفتح على فضاءات نصية متعددة، بالإضافة إلى أنه يحمل تأكيدًا على أن النص مرّ بمراحل إنتاجية مختلفة قبل أن يصل إلى المتلقين بالصورة التي ارتضاها لنفسه، أي أنّ "سناجله " لم يندفع مباشرة إلى هذا الفضاء لتسجيل ما فكّر فيه ذهنيّا، إنما حاول أولًا الربط بين الجزئيات المكوّنة للتجربة السردية في المرحلة الذهنية، ثم كانت مرحلة الإنتاج الفعلي، وهي تحويل التصوّر الذهني للتجربة إلى هيئة نصّ مرئي مسموع ومقروء في الوقت نفسه، دلّ على ذلك أيضًا أنه حرص على التعاون مع (مساعد آخر) في تشكيل التجربة، وهو المخرج عمر الشاويش الذي ذكر " سناجله" اسمه في واجهة الرواية في صورة.

- **صقيع على المستوى الشكلي:**

لم يقتصر " محمد سناجله" في تقديمه لهذه التجربة المأساويّة على بنية الكلمة السردية المعهودة، التي تتكفّل أساسًا بالمحكي والإخبار عن التجربة ومصادرها، إنما وظَّف مؤثرات سمعية وبصريّة وحركيّة ساعدت في تجسيد الدلالات النصية خاصة في أبعادها المعنوية، كما في توظيف الموسيقى التصويرية التي جعلها خلفيات للمقاطع السردية، وأنّ الشيء اللافت للنظر هو أنّ هذه المؤثرات لم تخرج في إيحاءاتها عن السياق المضمر في الكلمة السردية، ولذلك جاءت هذه المؤثرات في كثير من الأحيان تأكيدًا للدلالات التي تُوحي بها الجملة السردية، وهو ما يؤكد التآزر بين الكلمة والمؤثرات التقنية في إنتاج الدلالة التي تسعى قصة " صقيع" إلى تقديمها، وهذا هو الذي السبب الرئيسي الذي جعلنا نختارها نموذجًا تطبيقيًّا لما ذهبنا إليه في القول بالنظم الإلكتروني، الذي تتمثّل محاوره في الآتي:

أولًا: التعالق بين الواجهة الأساسيّة (الافتتاحية الرقميّة للرواية)، والافتتاحية السرديّة النصيّة، حيث إن افتتاحيّة الرواية تمثلت في شكلَيْنِ: أيقونة متحركة لشخصية تجلس وحيدة تبدو عليها ملامح التوتر والخوف كما موضح في الشكل الآتي:

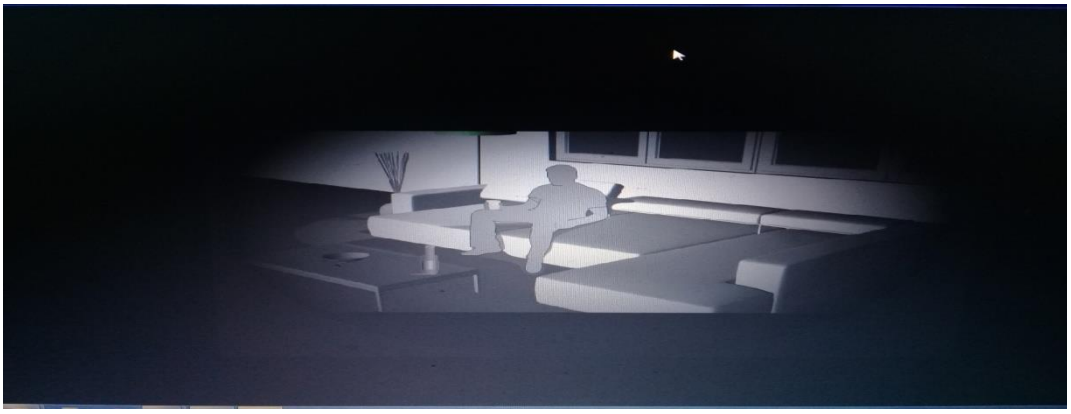

شكل رقم(1)

أما الافتتاحية الأخرى فتمّ تشكيلها من خلال الكلمة، حيث شُكِّلت في هيئة جمل سردية ذات لغة شعرية تتناغم مع حالة الشخصية المصوّرة :" **الريح تعوي في الخارج كذئاب قرّها الجوع فناحت... برد ومطر، وثلج تراكم في الأنحاء، أرى نتفه الصغيرة البيضاء تعانق النافذة في عتم الليل الموحش، ثم ترتد قتيلة عن الإطار، كان جسدي يصطك من البرد.. نظرت إلى كأس العرق الأخير**"[10]

فهذه الفقرة السرديّة التي رُصِدت من خلال الوعي الداخلي للشخصيّة في لحظة ما، تُوحي بحالة التشتت التي تُعتمل في الأنا الساردة، وهي حالة قد ألقتْ بظلالها على البنية التركيبة للجملة السردية التي استمدت دلالتها المأساويّة من المعجم

[10]- محمد سناجله، رواية الصقيع.

النفسي، ولذلك وجدنا عبارات، مثل: (قرّها الجوع فناحت، عتم الليل الموحش، ترتد قتيلة، يصطك من البرد..)، وهي عبارات تُعطي انطباعًا أوليًا بالإيقاع السوداويّ الذي سيكون عليه السردُ لاحقًا، إضافةً إلى أنّ هذه الافتتاحية قدّمت وصفًا تقريرًا حول هيئة الشخصية التي واجهها القارئ من قبل في افتتاحية الواجهة الرقميّة، والتي ربما وجد صعوبة في تحديد ملامحها أو المقصود منها، وهذا ما يزيد من فاعلية الافتتاحية السرديّة خاصة وأنها أدّت وظيفة تفسيرية وتوضيحية لما جاء في الواجهة الرقميّة.

ثانيًا: سردية الروابط Hyper Link:

تُعَدُّ الروابط أو الوصلات التشعبية من التقنيات الرقميّة الأساسيّة التي وظّفها المبدعون في نسيج السرد الرقمي، وقد أسهمت في إنتاج ما عُرف بالهيبرتكست **(HyperText)**، فهو نتاج طبيعي لتوظيف الوصلة التشعبيّة.

ويمكن القول أولًا بأن قارئ " صقيع" يمكن أن يقرأها دون النّظر إلى الروابط الموظّفة، وفي هذه الحالة سيكون أمام نصّ قصصي قصير، يتميّز بسببيه المتتابعة، ولن يختلف عن الحبكة التقليدية التي أَلِفها في النصوص الورقية، لكن إذا كان " محمد سناجله" أراد ذلك، فما الذي دفعه إلى تقديم عمله في هيئة رقميّة؟ إجابة هذا السؤال من الأهمية بمكان؛ لأنها هي التي ستدفع القارئ مباشرة إلى تنشيط الروابط والاشتباك معها لمعرفة جمالياتها السردية والبلاغية المضمرة، فالرابط الأخير (على سبيل المثال) دون تنشيطه لا يمكن للقارئ معرفة المفارقة التصويريّة الدراميّة التي بُنِي عليها، خاصة في التناقض الصارخ الذي يجمع بين الحالة الداخليّة للأنا الساردة، والواقع الخارجي الذي يُحيط بها.

يمكن النظر إلى الروابط في قصة " صقيع" على النحو الآتي:

- **رابط: قمت أجر نفسي** (يحمل دلالة حكائيّة) بالنقر عليه ينفتح على مشهد حركي تمثيلي فيه تأكيد لدلالة الرابط، بمعنى أن الرابط على المستوى البلاغي يحمل بعدًا وصفيًّا تشخيصيًّا، يقول السارد:" شربت ثمالة الكأس.. عواصف وتروق تلمع في الفقر الموحش.ثم قمت أجر نفسي إلى الفراش"، وهنا تأتي الصورة الحركية تأكيدًا لهذا البُعد الوصفي:

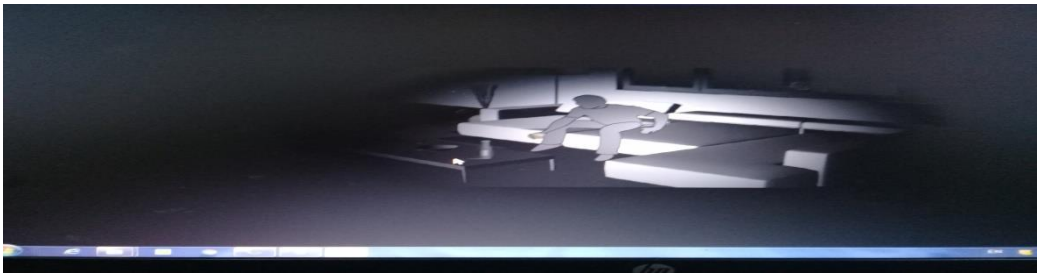

شكل رقم (2)

مع العلم أنّ هناك مراعاة بين هذه الكلمات التي انفتح عليها الرابط، وبين الخلفيات الرمادية والمؤثرات الصوتية والنصوص المخبّأة التي تحيل إلى هطول الأمطار وصوت الذئاب والرعد، من ذلك: " الريح تعوي في الخارج كذئاب قرّها الجوع فناحت، برد ومطر، وثلج تراكم في الأنحاء. ، الرق الذي يلمع فجأة فتلمع الروح ثم تنال.. يرعبها صوت الرعد المزمجر فتموت في مهدها".

وهناك روابط داخلية (تحمل دلالة أدبيّة) تنفتح على نصوص شعريّة، وقد صاحب هذه النصوص مؤثرات سمعية وبصرية تنسجم من الدلالات التي تُوحي بها النصوص الشعرية، كما في رابط "كم أحتاجك الآن"، الذي ينفتح على:

(شكل 4)

فهذه النصوص تحمل هي الأخرى بُعْدًا حركيًّا متضمَّنًا في كلمات مثل: (أهرب، أغتالها، ألقاني)، وهي مفردات تتناسب مع السرد الذي يستمد دراميته وحركته من واقع الشخصية الداخلي الذي تكفلت القصة بتقديمه مباشرة في افتتاحيتها، معنى ذلك أن الروابط بما تشتمل عليه من مؤثرات صوتيّة، لا تخرج عن إطار الجمل السردية الرئسية، كما في استدعاء: (أغنية محتجالك فوق ما يتصور خيالك) لـ" وردة الجزائرية"، وربما هذا الاستدعاء يجعل القارئ يتساءل تحديدًا لما تم الاعتماد على الصوت الأنثوي في السرد مع أن الذي قام بفعل الاستدعاء هو أنا ذكورية؟

من هنا يمكن القول إجمالًا: إن الروابط الإلكترونية الموظّفة سرديًّا يمكن تصنيفها في صورتين:

الأولى: روابط وصفية تشخيصية تنفتحُ على هيئة حركية للأنا المصوّرة.

الأخرى: روابط أدبية، وصوتية، تنفتحُ على نصوص شعرية مصحوبة بأغانٍ صوتيّة تتماشي في إيقاعها الهادئ مع إيقاع الأنا الداخلي، كما في رابط أغنية (محتجالك لوردة الجزائرية).

ثالثًا: التفاعل الإنتاجي:

ما يجب التأكيد عليه هو أنه لا وجود لهذه الوظائف مجتمعة دون تفاعل القارئ النشط الذي يتطلّب النقرَ فوق الروابط الإلكترونية الموظفة في نص " صقيع"، بل يمكن أن يسهم القارئ في منح النص أبعادًا جديدة، وذلك من خلال اقتراح تحويل بعض المشاهد السرديّة إلى مقاطع موسيقية وحركيّة، فيمكن له مثلًا أن يقترح على المؤلف تحويل المقطع السردي الآتي:" **أخذت أبكي، الضباع تحولت إلى ديناصورات هائلة، ملأت العتمة، ومن خياشيمها المرعبة تصدر رائحة نتنة ونارًا...**"؛ إلى هيئة حركية بصرية مسموعة، فماذا لو جعل "سناجله" جملة: " الضباع تحولت إلى ديناصورات"، رابطًا إلكترونيًّا بالنقر عليه يمكن أن نرى هذه الديناصورات وهي تجرى وراء البطل (كما هو الحال في أفلام الرعب) بصورة تتناسب مع الكوابيس التي يعيشُ فيها، وبصورة تنسجم مع فعل الحاجة إلى النجاة التي يسعى جاهدًا إلى تحقيقها، من هنا سيكون هذا الرابط المقترح من قِبل القارئ منسجمًا دلاليًّا وشكليًّا مع الرابط الذي يحمل عنوان: "كم أحتاجك الآن"، وبهذا يكون المتلقي أسهم في إيجاد ما يمكن تسميته بالتفاعل الإنتاجي في النص.

من خلال السطور السابقة يتضح جليًّا أنّ الكلمة السرديّة قد تآزرت مع المؤثرات السمعيّة والبصريّة والحركيّة، في تقديم دلالة نفسيّة معتمة تحيل مباشرةً إلى أنا معذبة، وقد أحسن المؤلف صُنعًا في أنه اعتمد **على الألوان** وأكسبها بُعْدًا سوداويًّا يتجسد في جعله اللون الرمادي خلفيةً بصرية للأحداث، وظلالًا تتناغم مع حالة الشخصية ومصيرها، وهذا يدلّ على أن توظيف المؤثرات الرقمية في النص لم يكن توظيفًا لمجرد الزينة أو إثارة دهشة المتلقي، إنما جاءتْ في جانب منها تأكيدًا وتشخيصًا للأنا الساردة، ومن جانب آخر أضافتْ أبعادًا أخرى لم يذكرها السرد المبني على الكلمة، كما في رابط بقايا. حتى أن دلالة الأغاني المستدعاة التي تم توظيفها في النص، مثل: (محتجالك لوردة، وما بقا لي قلب لمحمد عبده) تتناغم مع الحالة العاطفية للأنا المصوّرة سرديًّا، إضافة إلى أنها خففت من حدّة تتابع الجملة السردية، إضافة إلى أن هذه الأغاني خرجت عن مرجعيتها الأساسية (الغنائية) التي تحيل إلى مغنيها، واكتسبت دلالة قصصية جديدة

تتناسب مع المضمون السردي المقدَّم، فجملة (محتجالك) خرجت من إحالتها إلى " وردة"، وأصبحت تحيل مباشرة إلى بطل "صقيع"، والأمر نفسه في (ما بقا لي قلب) حيث خرجت هي الأخرى من إحالتها إلى "محمد عبده"، وأصبح المتكلم فيها هو بطل " صقيع"، وبهذا يمكن التأكيد على أنّ ماهية التناص (النصوص الخارجية المستدعاة) قد تغيرت مع النص الرقمي، فلم يعد بنيةً ثابتةً جامدةً كما في النصوص الورقيّة، إنما أصبح مسموعًا ومرئيًّا، أصبح محركًا قويًا وحافزًا للقراءة والإبحار، أصبح رقميّا يتناسب مع رؤية النص الحداثي.

ختامًا:

يتبيّن من خلال هذه المحاورة النقدية الموجزة أن القيمة الجمالية للنص الرقميّ تتمثّل في الإجراء الداخلي الذي ينظّم العملية البنيويّة، والذي اصطلحنا على تسميته بـ**" النظم الإلكتروني"**، الذي يؤكد على أنّ المؤثرات التقنية إضافة إلى ما تتضمنه من دلالة تأكيدية لمضمون الكلمة السردية، إلا أنها يجب أن تتضمن أيضًا دلالات أخرى تسهمُ في منْحِ النصّ اتساعًا نصيًا من شأنه تحقيق انفتاحٍ قرائي موازٍ، بصورة تجعل من عزْل هذه المؤثرات أو اقتطاعها يؤثر في البنية النصية على المستوى الموضوعي والفني، وبصورة تعزز أيضًا من ضرورة أن يكون هناك تلاؤم وانسجام بين الكلمة والمؤثرات التقنية الموظّفة، وهذا ما بدا جليًّا في نص " صقيع" الذي تآزرت فيه المكونات السردية (الكلمة و المؤثرات التقنية) في تقديم الحالة المأساوية للأنا الساردة، وقد جاءت هذه المكونات مصطبغة بنفس أبعاد هذه الحالة، وهو ما حقّق انسجامًا بنيويًا في نسيج القصة.

قائمة المصادروالمراجع:

1- إبراهيم ملحم، الأدب والتقنية (مدخل إلى الأدب التفاعلي)، عالم الكتب الحديث، ط1، 2014.

2- زهور كرام، الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهمية، دار رؤية، ط1، 2009.

3- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 2008.

4- عمر الزرقاوي، الكتابة الزرقاء(مدخل إلى الأدب التفاعلي)، كتاب الرافد، الشارقة، العدد56، ط أكتوبر2013.

5- سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2008.

6- سومية معمري، الأدب الرقمي بين المفهوم والتأسيس مقاربة في تقنيات السرد الرقمي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، ط2016.

7-كلثوم زنينة، النص الأدبي من الشفهية إلى الرقمية، رسالة مقدمة لنيل الماجستير، ط2009.